مقالة مبنية على أصلين أحدهما أن المعدوم شيء ثابت في العدم
موافقة لمن قال ذلك من المعتزلة والرافضة وأول من ابتدع
هذه المقالة في الإسلام أبو عثمان الشحام شيخ أبي علي الجبائي وتبعه
عليها طوائف من القدرية المبتدعة من المعتزلة والرافضة وهؤلاء
يقولون إن كل معدوم يمكن وجوده فإن حقيقته وماهيته وعينه
ثابتة في العدم لأنه لولا ثبوتها لما تميز المعلوم المخبر عنه من غير المعلوم
المخبر عنه ولما صح القصد إلى ما يراد إيجاده لأن القصد
يستدعي التميز والتمييز لا يكون إلا في شيء ثابت لكن هؤلاء وإن
ابتدعوا هذه المقالة التي هي باطلة في نفسها وقد كفرهم طوائف
من متكلمة السنة فهم يعترفون بأن الله خلق وجودها ولا يقولون
إن عين وجودها عين وجود الحق وأما صاحب الفصوص وأتباعه
فيقولون عين وجودها عين وجود الحق فهي متميزة بذواتها الثابتة
في العدم متحدة بوجود الحق العالم بها وعامة كلامه ينبني على هذا لمن
تدبره وفهمه وهؤلاء القائلون بأن المعدوم شيء ثابت في العدم
سواء قالوا بأن وجودها خلق لله أو هو الله يقولون إن الماهيات
والأعيان غير مجعولة ولا مخلوقة وأن وجود كل شيء قدر زائد
على ماهيته وقد يقولون الوجود صفة الموجود وهذا القول وإن
كان فيه شبه لقول القائلين بقدم العالم أو القائلين بقدم مادة العالم
وهيولاه المتميزة عن صورته فليس هو إياه وإن كان بينهما
قدر مشترك فإن هذه الصورة المحدثة من الحيوان والنبات
والمعادن ليست قديمة باتفاق جميع العقلاء بل هي كائنة بعد أن
لم تكن وكذلك الصفات والأعراض القائمة بأجسام السموات والاستحالات
القائمة بالعناصر من حركات الكواكب والشمس والسحاب والمطر
والرعد والبرق وغير ذلك كل هذا حادث غير قديم عند كل
ذي حس سليم فإنه يرى ذلك بعينه والذين يقولون بأن عين

المعدوم

المعدوم ثابتة في العدم أو بأن مادته قديمة يقولون بأن أعيان
جميع هذه الأشياء ثابتة في العدم ويقولون إن جميع مواد العالم قديمة
دون صوره [صوره] واعلم أن المذهب إذا كان باطلا في نفسه لم يمكن الناقل له
أن ينقله على وجه يتصوره تصورا حقيقيا فإن هذا لا يكون إلا للحق
فأما القول الباطل فإذا بين لبيان فساده حتى يقال كيف اشتبه
هذا على أحد ويتعجب من اعتقادهم إياه ولا ينبغي للإنسان أن يعجب
فما من شيء يتخيل من أنواع الباطل إلا وقد ذهب إليه فريق من الناس
ولهذا وصف الله أهل الباطل بأنهم أموات وأنهم صم بكم عمي وأنهم لا يفقهون
ولا يعقلون وأنهم في قول مختلف يؤفك عنه من أفك وأنهم في ريبهم
يترددون وأنهم يعمهون وإنما نشأ الاشتباه على هؤلاء من حيث رأوا
أن الله سبحانه يعلم ما لم يكن قبل كونه وإنما أراد شيئا أن يقول له كن [أمره إذا]
فيكون فرأوا أن المعدوم الذي يخلقه يتميز في علمه وإرادته وقدرته
فظنوا ذلك لتميز ذات له ثابتة وليس الأمر كذلك وإنما هو متميز [ظ والواجب]
في علم الله وكتابته والواحد منا يعلم الموجود والمعدوم الممكن والمعدوم
المستحيل ويعلم ما كان كآدم والأنبياء ويعلم ما يكون كالقيامة
والحساب ويعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون كما يعلم ما أخبر الله به
من أهل النار لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وأنهم لو علم الله فيهم خيرا
لأسمعهم وأنه لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وأنه لو كان فيهما
آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا وأنهم لو خرجوا فيكم
ما زادوكم إلا خبالا وأنه لولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من
أحد أبدا ونحو ذلك من الجمل الشرطية التي يعلم فيها انتفاء الشرط أو ثبوته
لهذه الأمور التي نعلمها نحن ونتصورها إما نافين لها أو مثبتين لها
في الخارج أو مترددين ليس بمجرد تصورنا يكون لها عينا ثبوت في الخارج
عن علمنا وأذهاننا كما نتصور جبل ياقوت وبحر زئبق وإنسانا
من ذهب وفرسا من حجر فثبوت الشيء في العلم والتقدير ليس هو

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)